تعارف وتبصره

محمد يوسف صديق , رحلة مع النقوش الكتابية الإسلامية في بلاد البنغال ، دراسة تاريخية حضارية (دار الفكر – دمشق – سوريا – الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م) . عدد الصفحات : ٤٩٣ . الثمن : ١٢ دولار أمريكي .

قال الشاعر:

الخط يبقى زمانا بعد صاحبه وصاحب الخطّ تحت الأرض مدفون

وقال فيكتور هيجو: "المجتمع الإنساني، والعالم، والإنسانية جمعاء هي في الحروف".

إنّ الكتابة رمز اللغة،كما أنّ اللغة رمز الفكر، إنّ التاريخ والإنسان بكلّ خصائصه ومقوّماته، بل الحضارة برمّتها تكمن في اللغة،واللغة عمادها الحرف...فلا عجب إذن من أن ترتبط بداية التاريخ بظهور الكتابة ،تلك هي الحقيقة التي تمثّلها الدكتور الفاضل محمد يوسف صديق،عضو هيئة تدريس بقسم التاريخ والحضارة الإسلامية بجامعة الشارقة،رئيس قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية سابقا بجامعة زايد بدبي،ورئيس قسم الدعوة والدراسات الإسلامية سابقا بالعاصمة الإسلامية في بنغلاديش.الزميل الأول سابقا(senior fellow) بمركز دراسة أديان العالم،جامعة هارفرد.

لقد طالعنا بكتاب صادر عن دار الفكر،دمشق، سوريا في طبعته الأولى-صفر١٤٢٥هـ-نيسان(أبريل)٢٠٠٤م.هذا الكتاب بعنوان "رحلة مع النقوش الكتابية الإسلامية في بلاد البنغال-دراسة تاريخية حضارية-"لقد أنار لنا هذا الكتاب زاوية من تاريخنا الإسلامي ظلت معتمة لفترة غير قليلة، وكان له فضل السبق في دراسته باللغة العربية.

إن هذا الكتاب يقوم على دراسة النقوش التي تشير في مجملها إلى التفاعل الحضاري خلال فترة هامة من إقليم البنغال؛ إنه يعالج انتشار الإسلام في هذا الإقليم من خلال النقوش الكتابية الإسلامية في عمائرها بوصفها مصدرا رئيسا له؛وذلك خلال الفترة الواقعة بين سنتي ١٢٠٥م-١٧٠٧م.

وإذا كانت دراسة النقوش تمثل حلقة من حلقات دراسة التاريخ فإن أهميتها تكمن في فهم الفترات التاريخية المختلفة للشعوب.

إنه يساعد على فهم التاريخ المعقد والمتداخل لدخول الإسلام إلى تلك المنطقة، والتي لازالت محافظة على هويتها الإسلامية، ويبيّن أهمية النقوش الإسلامية العربية في شبه القارة
الهندية بصفة عامة وفي بلاد البنغال على وجه الخصوص؛ فهي تمكّن لدراسة الحضارة والفنون الإسلامية في تلك البلاد.

ولا شك أن الخوض في مثل هذا المضمار ليس بالأمر الهيّن،فالنقوش تأثرت بالظروف المناخية والجغرافية،وبعضها أزيل من مكانه بالإضافة إلى صعوبة الوصول إلى بعض أماكنها.والباحث لم يكتف بالوقوف عليها-بعد تجشّم الصعاب_وإنما ذهب يدرس ويحقق، ويجد التفسيرات التاريخية،وفوق ذلك كله يضع المعلومات المستخلصة في سياقها التاريخي الصحيح وصولا إلى فهم صحيح وموثق لكيفية انتشار الإسلام في المنطقة.

لقد وصف ووضّح المادة المستخدمة في هذه النقوش وناقش قيمتها التاريخية بتمعن وإتقان.

يقع الكتاب في أربعمائة واثنين وتسعين صفحة،تضم قسمين يتكوّن القسم الأول من أربعة فصول ويضمّ الثاني ستة فصول.

يتقدّم القسمين تمهيد للموضوع بيّن فيه الكاتب تميّز الحضارة الإسلامية عن الحضارات الأخرى وقيمة التراث الإسلامي.ثم تلاها بمقدّمة شرح فيها أهمية دراسة النقوش.

جاء الفصل الأول من القسم الأول ليعرّف بالبنغال والصلات المبكرة بين العرب والبنغال وتاريخ حكم المسلمين فيها قبل الحكم الماغولي وبعده.

بينما وقف الفصل الثاني على المظاهر المختلفة للحضارة الإسلامية في البنغال؛ من تاريخ الفن الإسلامي،والنهضة المعمارية،مع ذكر أهم العواصم والمراكز الحضارية الأثرية في البنغال؛ والتي كان من أهمها مدينة غور، وبندورة، ودهاكا.

أما الفصل الثالث فقد خصه المؤلف للحديث عن نشأة الخط العربي وأثره الحضاري في الكتابات في شبه القارة الهندية وتطوراتها الفنية، والكتابة الطغرائية البنغالية واستخدامها المتنوع عبر الأزمنة المختلفة، كما ناقش فيه الأنواع المختلفة للخطوط العربية.التي استخدمت في البنغال.

ووقف الفصل الرابع على النقوش الكتابية الإسلامية ومدلولاتها الحضارية،وقد تميّز هذا الفصل بوضع فهرس للأحاديث النبوية التي وردت في تلك النقوش.

أما القسم الثاني فهو القسم الرئيس من الكتاب حيث اشتمل على ثبت النقوش الإسلامية في البنغال موزّعة على ستة فصول؛وقد تميّز بتقديم ثبت بالنقوش الإسلامية في البنغال في العصر السلطاني، وفي الفترة الانتقالية، وفي العصر المغولي، والفترات المتأخرة، كما تناول النقوش المتنوّعة الأخرى من المناطق المختلفة في جنوب آسيا،مع ملاحق هامة ومفيدة.

وقد خصّص الكاتب الملحق رقم(١) لبعض النقوش الجديدة.

وكانت الملاحق تحمل صور النقوش بأرقامها وأماكنها بالإضافة إلى تحقيق نصوصها؛ مما ييسّر على القارئ قراءتها ومعرفة ما جاء فيها.هذا بالإضافة إلى الخرائط التوضيحية للبنغال عبر العصور، وخرائط أخرى للمساجد والمدارس، ومراكز الحركات الصوفية.

بعد هذه الرحلة العلمية الشيقة المفيدة مع النقوش الإسلامية في بلاد البنغال، يمكننا القول: إن هذا الكتاب لبنة من لبنات المعرفة التي تضاف إلى مكتبتنا العربية، وأرجو أن يجد فيه الدّارس ضالته، وأن يلقى التقدير والاهتمام من ذوي الاختصاص في الحقلين التاريخي واللغوي، بالإضافة إلى عدّه رافدا من روافد الثقافة الإسلامية بتاريخها وفنّها وعمرانها.

نورالهدى لوشن

قسم اللغة العربية، جامعة الشارقة،

الإمارات العربية المتحدة.